فرعون ومواكبه ، وإزيس وهوروس :

أين (إيزيس) تحتها النيل يجرى ... حكمت فيه شاطئين وعرضا
أسدل الطرف كاهن ومليك ... في ثراها ، وأرسل الرأس خفضا
يعرض المالكون أسرى عليها ... في قيود الهوان عانين جرضا

وكان للكشف عن قبر توت عنخ آمون وما ينبىء عنه من حضارة رفيعة عميق الأثر في نفس شوقي ، فهى يسجل في شعره صفحة ناصعة من تاريخ هذا الوطن ، ويصف تلك الحضارة التي أبان عنها كشف ذلك القبر . ومن أهم ما أثر فيه تلك الموازنة المؤلمة بين هذا الماضي المشرق بالمجد والعامر بالفخار ، وبين هذا الحاضر الملىء بالضعف والتأخر ، واستمع إليه يخاطب فرعون قائلا :

قل لى أحين بـــدا الشرى ... ـلك ، هل جزعت على العرين ؟
آنست ملكا ليس بالشـــاكى السلاح ولا الحصين
الـــبر مغلوب القنـــا ... والبحر مغلوب السفين
لما نظرت إلى الـــديا ... ر صدقت بالقلب الحزين
أقبلت من حجب الجلا ... ل على قبيـل ممرضين
تاج الحضارة حين أشـــرق لم يجـــدهم حافلين
والله يعـــلم لم يـــرو ... ه من قرون أربعين

وكان شوقي يتمنى لمصر نهضة شاملة تناسب تاريخها المشرق القديم .

أحمد أحمد بدوي
مدرس بكلية دار العلوم — بجامعة فؤاد الأول

على هامش الحرب العالمية الأولى

١٩١٤ — ١٩١٨

كيف تستفيد مصر من دروس حملة فلسطين

للأستاذ أحمد بك رمزى

بين يدى كتاب عنوانه « دروس من تجارب الحرب العظمى » وضعه الجنرال الألماني البارون فون فريتاج لودنجهوفن ، وكان صاحبه من خيرة كتاب ألمانيا العسكريين وأطولهم باعا ، وأقدرهم في الكتابة عن الحرب من الوجهة النظرية . وهو بروسى الأصل ولكنه ينحدر من عائلة كانت تسكن شواطىء بحر البلطيق ، في تلك المناطق التي ضمت إلى الروسيا ، وهاجرت عائلته إلى ألمانيا ، فانضم في الحادية والعشرين من عمره إلى إحدى فرق الحرس البروسية وشغل قبل سنة ١٩١٤ وظيفة هامة في هيئة أركان الحرب العامة في برلين ، وما لبث أن ذاع صيته في السنين التي سبقت الحرب الأولى ، لاشتهاره بكتبه ومؤلفاته العسكرية ، التي نشرها عن فن الحرب وتاريخ المعارك ، ولما نشبت الحرب العالمية الأولى رشحته خبرته وثقافته ليعين مندوبا عن الجيش الألماني وممثلا له ، في المجلس الأعلى لهيئة أركان الحرب العامة لجيوش الامبراطورية النمساوية المجرية .

وقد لمس عن كثب عند بدء الحرب ضعف الامبراطورية ، وأسباب تفكك جيوشها ، ولكنه يلتمس الأعذار للعسكريين النمساويين ، ويقول إن جموع الجيوش التي حشدتها دولة العرشين — عرش النمسا وعرش المجر — قد استبسلت في القتال وحاربت بشجاعة ، وجاءت هزيمتها نتيجة للأخطاء التي سببتها الهيئات النيابية في البلدين وإهمالها طلبات هذه الجيوش وقت السلم .

والمعروف أن فشل الخطط الهجومية الألمانية في الميدان الغربي أدى إلى اعتزال الكونت مولتكه من رئاسة هيئة أركان الحرب العامة ، فتسلمها فون فالكنهين الذي دعا مؤلف الكتاب وعينه ضمن مساعديه .

واقتصر عمل مولتكه على رئاسة بعض الأقسام الفنية التي بقيت في برلين ، أما الأعمال الأساسية التي من صميم عمل هيئة أركان الحرب العامة ، فاستمرت في الميدان تحت إشراف القيادة العامة .

ولما أخفق الهجوم الألماني أمام حصون « فردان » طلب إلى المريشال فون هندنبرج في أوائل أغسطس ١٩١٦ ، أن يخلف فالكنهاين في منصبه وألحق مؤلف الكتاب كمساعد للجنرال لودندورف ، يد هندنبرج اليمنى ، وقد بقى يشغل هذه الوظيفة حتى مات مولتكه في يونية من السنة التالية ، فخلفه الجنرال لودنجهوفن في وظيفته ، أى شغل منصب الرئيس المنتدب لرئاسة

أركان الحرب باقسامها التي بقيت فى برلين ، وكان عملها قاصرا على المسائل الفنية الصرفة ولا تتدخل فى تنسيق العمليات الحربية وسير القتال فى الجبهات .

وقد انعمت عليه حكومته عقب توليه هذا المنصب بوسام الاستحقاق من طبقة السلم . فكان هذا الانعام دليل تفوقه وأهليته وخير اعتراف رسمي له بأنه أقدر الكتاب العسكريين فى الجيش البروسي .

والمعروف أن الذى أنشأ وسام الاستحقاق فى طبقاته العسكرية هو فردريك الأكبر عاهل بروسيا ، وقد جرت التقاليد بالانعام به على القواد والضباط الذين يظهرون مهارتهم فى الحروب ، أما وسام الاستحقاق للسلم ، فقد أنشأه فردريك وليم الرابع عام ١٨٤٢ وأوقفه على من يظهر قدرته على الكتابة فى الفنون العسكرية من الوجهات النظرية والعلمية البحتة ، وعليه فان حصوله على هذا الوسام دليل تقدير لمؤلفاته وأنها بلغت درجة كافية من النضوج تجعله أول ضابط حصل على وسام الاستحقاق حتى طبقة السلم فى زمن الحرب .

لقد كتب المؤلف كتابه «دروس من تجارب الحرب العظمى» والحرب القائمة ، ثم طبع بعد انهزام المانيا ولم يكد يظهر فى عالم المطبوعات حتى تلقفته الصحافة بتعليقاتها المستفيضة ، وقد لفت الأنظار اليه ما جاء فى بعض فصوله عن مستقبل الجيش الألمانى وخاتمته التى تقول « لا نزال مستعدين للحرب »

وأدى نشر فصوله على هذا اللا أن أخذت الجرائد تناقشها بحرارة وحماس وتشرح باسهاب الطرق التى لابد أن تتبعها المانيا بعد انكسارها فى الحرب لتستعد إلى دخول حرب أخرى ، فاضطرت الحكومة الديمقراطية أن تضيق على الصحافة وأن تحول دون نشر تعليقاتها على الأفكار التى تضمنها الكتاب ، ولكنها شجعت نشره فى داخل بلادها ومنعت ارساله للخارج فلم يتعد ما تسرب منها إلى البلاد الأجنبية عدداً محدوداً .

ونظرة لهذا الكتاب تجعلنا نحكم بأنه خطوة تمهيدية لتاريخ الحرب العالمية الأولى ، فهو مؤلف موجه للشعب الألمانى لا الرجال الجندية ، ولذلك عده البعض شبيها بكتاب الماريشال مولتكه الكبير الذى قاد الحرب الفرنسية الألمانية ١٨٧٠ وخطه بقلمه وهو فى ميدان القتال بفرنسا ، وقدمه للشعب والاجيال القادمة التى لم تكن وجدت فى ذلك الوقت ، فنشأ على قراءته وتربى على أفكاره ومبادئه جيل من الناس بأكمله ، هو الذى عاش بين سنة ١٨٧٠ وسنة ١٩١٤ ومن هذا الجيل نشأ الجيش الذى خاض معارك الحرب العالمية الأولى .

وكذلك كتاب الجنرال لودنجهوفن أثر فى الأجيال التى جاءت بين سنة ١٩١٨ وسنة ١٩٣٩ أى بين هزيمة المانيا الأولى ثم قيامها تحت نظام النازية ودخولها الحرب العالمية الثانية : لأن الدعوة التى تبناها مؤلف الكتاب يقول بطرح المبادىء العالمية والاقلاع عن أفكار السلام الدائم ، والأخذ بفكرة انشاء نظام عسكرى جديد لألمانيا موطد على دروس الحرب العالمية الأولى ومدعم بتجاربها الفاشية ومعتمد على تقدم العلوم الحديثة وتطور فنون الحرب ، فهو يدعو إلى أن تخلق المانيا لنفسها من هزيمتها نصراً ، وهذا ما وفق الشعب الألمانى اليه بين حربين ، إذ جعل من تعاليم صاحب الكتاب دوافع نفسية مكنته من تنظيم أكبر قوة عسكرية فى العالم وأضخم آلة قتال رآها الناس فى الفترة التى وقعت بين الحربين العالميتين الأولى والثانية .

وهو من القائلين بأن الحرب غريزة متمكنة من طبيعة البشر ، فكما أن طبيعة الناس لا تتغير فالحرب ستبقى ملازمة للانسان فى مستقبل أيامه كما لازمته آلاف السنين وعشرات القرون .

وهذه عقيدة تملكت الشعب الألمانى الذى الف الحروب ونشأ مدربا تحت السلاح ، ولذلك تقبلت هذه العقيدة عقلية الجماعات ، فاصبحت حقيقة منطقية ثابتة وإيمانا لا يحتمل الشك ولا يتطرق اليه التردد والضعف . وهو يقول ان الروح العسكرية ليست اختراعاً اوجدته بروسيا لنفسها أو عارية أخذتها من الأمم الأخرى ، وانما الروح العسكرية هى بروسيا نفسها . ولما كانت بروسيا أقوى دول المانيا ، فليس لدى الألمان أحزاب سلم وأحزاب حرب ، وانما هناك أمة واحدة تقدس الواجب ، وتؤمن بعظمة الجيش ، وكل اتجاه يخالف هذا القول يعد هراء من قبيل اضاعة الوقت ، أو المناداة بفكرة لا يأبه لها المانى واحد

وهو يجهر فى مقدمة كتابه بقوله « أن الواجب يفرض علينا أن نكون على بينة وتثبت من الدروس والتجارب والحوادث

التى كانت نتيجتها وخيمة علينا ، أنه فرض علينا أن نبحثها وندرسها ونحللها فى أقسام الجيش وهيئات الحكومة ، إننا دفعنا الثمن غاليا للحصول عليها فى ميادين القتال ، وفى داخل البلاد وخارجها ، فعلينا أن نوجه كل نشاطنا القومى ، ومانضعه بين أيدينا انظمتنا العسكرية من وسائل ، لكى نطيل الدرس ونقلب أوجه البحث من غير امهال أو تردد ، ولكن بعزيمة وبصيرة وبدون إضاعة وقت : إذ هنا يبرز الوقت كما يبرز فى الحروب كعامل فعال له وزنه وقيمته » .

« اننا لا نستطيع أن نستخلص الآراء الصائبة التى تنفعنا أو نحدد النتائج العملية التى تصلح لنا ، إذا قصرنا عملنا على النواحى العسكرية وحدها ، فهى مع أهميتها القصوى لانستطيع فصلها عن تطور السياسة العالمية ازاءنا ، ولا نتمكن من الاستفادة من هذه الدراسة إذا أهملنا التدقيق فى الأحوال الاقتصادية العامة وما أصاب بلادنا منها ، فنحن أمام ماعلينا ولا لنا ، أى أمام انتصارات ونكبات ، والتجارب التى هى فى الحالتين مفيدة لنا نعم لكى نعمل فى المستقبل على قواعدها ونسير بهديها

« ان الغاية من تأليف هذا الكتاب هو اعلام الجيش والشعب بالآراء الصائبة التى اثبتت الحروب مقدار صلاحيتها ووضع الحقائق والنتائج التى أقنعتنا دروس القتال بصحتها : فنحن أمام حوادث عسكرية منها ما هو من صميم فن الحرب وما هو من عمل السياسة ؛ وما هو اقتصادى بحت ولكنها دروس تعلمناها ، بدماء أبنائنا وتضحيتهم الكبرى وموتهم فى سبيل المثل الأعلى للبلاد : فما أقنعنا الدليل بصحته عمكنا به ، وما أظهرت الحرب بطلانه تجنبناه ، ودعونا إلى الاقلاع عنه . وماثبت نجاح شىء منه وبطلان بعضه عملنا على تحويره واصلاحه ليقلب النجاح عليه . »

وعلى هذا النمط يسير المؤلف فى شرح نظرياته وآرائه وتوجيهاته بوضوح وصراحة ، فيعرض الحالة السياسة والاقتصادية مدة الحرب للدولتى الوسط — المانيا والنمسا — ويعطينا صورة للحالة النفسية العامة معتمداً سيكولوجية الجماعات وأثرها فى رجال الجيش ثم يتكلم عن القيادة وعملها .

وبعد هذه الفصول بأكملها كمقدمة للنتائج التى استخلصها وهى فى القسمين الأخيرين من كتابه : « الجيش فى المستقبل » ثم كلمته « لنبق مستعدين للحرب » وهما عصارة تجاربه .

والذى دفعنى إلى إعادة النظر والتأمل فى هذا الكتاب وفى غيره من مؤلفات القائد الألمانى . بعد أن بقيت على رف مكتبى أكثر من عشرين عاما — هو ما يعاود الرأى العام المصرى — من وقت لآخر — من الرغبة فى تعرف نتائج الحرب فى فلسطين ، وأثرها فى يقظة الوعى القومى بمصر ، والعمل على استعادة القيم الخلقية التى يبدو لكثيرين منا أنها « انهارت بعد الصدمة الأولى

ولما كنت من المؤمنين بأن قيمة أى نظام ويقظة أى شعب يرتكزان على ما يبذله كل شعب من الشعوب من العمل الصامت المستند على ارادة وفكر للخروج من آثار الهزيمة التى عاناها حتى لا تهد من كيانه — رأيت من أولى المسائل التى يجب أن يهتم بها الشعب المصرى وأهل الرأى فيه هى مشكلة الحرب الفلسطينية وأثرها وما القته علينا من دروس .

فهل للديناهيئة قائمة أخذت على عاتقها جمع المعلومات والوثائق وتبويبها ودراستها حتى نستخلص بعض الحقائق ونسجل على أنفسنا ما بدا من تقصير فى صفوفنا وأنظمتنا ؟

أظن أننا لم نفكر بعد فى شىء من ذلك .

اذن أصبح واجبا على المفكرين وأهل الرأى أن يسدوا هذا النقص وأن يكتبوا وينشروا على الملأ ما يعلمون ، حتى يشعر الشعب المصرى بأن هزيمة فلسطين ليس معناها أن يستمر تحت كنفها وفى ظلها إلى الأبد .

إنما هى نتيجة سلسلة من الأخطاء السياسية والعسكرية تمت على أيدى أناس لا يمتون بصلة إلى الفن الحربى ولا يعرفون شيئاً عن أساليب السياسة الدولية .

ان المركز الخاص الذى وجدت فيه مصر والبلاد العربية يجب أن يشرح لها باسهاب ، وكذلك أماكن التجمع والحشد ؛ ويستلزم الأمر بيان الأسباب التى جعلت زحف الجيوش العربية — ذات التفوق العددى — متماسكا وغير مرتبط بالزمن . والاجابة على السؤال المعروف الذى طالما وجهه أحد قواد ألمانيا فى مؤلفاته !

« هل يأتى الآخرون لشد أزرنا وهل ينضم حلفاؤنا إلى صفوفنا حتى يكون تدخلهم فى المعركة الناشبة نافعا وكيف يأتى